

التواصل الأدبي

مجلة نصف سنوية محكمة تعنى بقضايا الأدب و النقد



تصدر عن مختبر الأدب العام و المقارن
كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية
جامعة باجي مختار / عنابة (الجزائر)

جوان 2013

العدد الرابع

التواصل الأدبي

مجلة نصف سنوية محكمة تعنى بقضايا الأدب والنقد



مجلة نصف سنوية محكمة تعنى بقضايا الأدب والنقد

تصدر عن مخبر الأدب العام والمقارن

إدارة المجلة: أ.د. عبد المجيد حنون

رئيس التحرير: د. محمد بلوهم

أمانة التحرير:

- د. نظيرة الكنز

- د. هجيرة لعور

منشورات مخبر الأدب العام و المقارن

جوان 2013

العدد الرابع

جامعة باجي مختار / عنابة (الجزائر)

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم اللغة العربية وآدابها

مخبر الأدب العام والمقارن

العنوان: مخبر الأدب العام والمقارن،

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار / عنابة

ص.ب. 12 عنابة – 23000 / الجزائر

الهاتف والفاكس: (038)84.51.49 / (038)84.75.25

الموقع الإلكتروني: LLGC.univ-annaba.org

أعضاء اللجنة الاستشارية

رئيس التحرير:

د. محمد بلوهم

أعضاء الهيئة الاستشارية:

1. أ.د. مختار نويوات (جامعة عنابة)
2. أ.د. عبد الحميد بورايو (جامعة الجزائر)
3. أ.د. الطيب بودربالة (جامعة باتنة)
4. أ.د. عبد الواحد شريف (جامعة وهران)
5. أ.د. عز الدين مخزومي (جامعة وهران)
6. أ.د. حبيب منسي (جامعة سيدي بلعباس)
7. أ.د. عيسى بريهمات (جامعة الأغواط)
8. أ.د. أحمد منور (جامعة الجزائر).

الأعضاء:

1. أ.د. عبد المجيد حنون
2. أ.د. صالح ولعة
3. أ.د. إسماعيل بن اصفيه
4. د. عمار رجال
5. د. علي خفيف
6. د. نظيرة الكنز
7. د. نسيم عيلان
8. د. هجيرة لعور

شروط النشر في المجلة

1. تنشر المجلة البحوث والدراسات العلمية التي تعنى بقضايا الأدب العام والمقارن والنقد والترجمة، وتتسم بالعمق والجدة والأصالة.
2. ترسل الدراسات في نسختين وقرص مدمج، ويكون حجم المقال في حدود (20) صفحة مقاسها 24×16، مع كتابة الإحالات والمراجع مرقمة في آخر المقال.
3. تكتب المقالات بخط (Traditional Arabic) من عيار 16، وبرنامج (Microsoft Word)، أو نظام (RTF).
4. ينبغي أن ترفق المقالات بملخص تحدد فيه الإشكالية وأهم العناصر والأهداف المتوخاة من الدراسة.
5. تخضع المقالات للتحكيم العلمي من الهيئة العلمية.
6. تقوم هيئة التحرير بإخطار أصحاب المقالات في حالة عدم النشر لسبب من الأسباب.
7. المقالات لا تردّ إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر.
8. المقالات المنشورة لا تعبر بالضرورة عن المجلة.
9. يتحصل أصحاب المقالات على نسخة من المجلة وخمس مستلآت من المقال.
10. ترسل المواد إلى رئيس تحرير مجلة التواصل الأدبي، مخبر الأدب العام والمقارن، العنوان : كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة باجي مختار/ عنابة ، ص.ب 12- عنابة. 23000/الجزائر.

الهاتف والفاكس: (038)84.51.49 / (038)84.75.25

الموقع الإلكتروني: LLGC.univ-annaba.org

الافتتاحية

الخطابات الأدبية بين التفاضل و التكامل

أما قبل ؛

فها هي مجلة التواصل الأدبي تكمل مربعها الأول بعد انقطاع طويل، كان نتيجة طبيعية لسلسلة من العقبات أخرت ظهور هذا العدد الرابع بخاصة، وكأن حلت به اللعنة اليونانية التي قادت أوديب إلى مصيره المأساوي وفق ما جاء في الأسطورة.

ولكن وبعد لأي، ذلت تلك العقبات بفضل صلابة عزيمة القائمين على شأن المجلة وإصرارهم على قيادة السفينة إلى المرفأ الآمنة، وهي رسالة واضحة الدلالة، تطمئن قراء المجلة من جهة، وتؤكد من أخرى أنها ماضية في سبيل نشر رسالتها المعرفية التنويرية، لتعميق الوعي بالكتابة الأدبية وبطرق مقاربتها.

وأما بعد ؛

فإن مدار هذه الافتتاحية على قضيتين:

أهدف من خلال الأولى إلى توضيح أيهما أنسب إلى الأدب "التفاضل" أم "التكامل" ؟، وأجلّي هذه الفكرة من خلال الثانية (قراءة في العدد) بوقفه نقدية عند بحوث هذا العدد.

يدل التفاضل على تفوق عنصر على آخر أو قيمة على أخرى، فيكون الفاضل في مرتبة أعلى والمفضول في مرتبة أدنى، ويتجلى ذلك على صعيد الخطاب الأدبي في الإعلاء من قيمة خطاب، فيوصف بالجودة ويطامن من قيمة آخر فيوصف بالرداءة.

واللافت أن صفتي الجودة والرداءة هما صفتان نسبيتان لارتباطهما بالمتلقين، فواحد يُعطي من قيمة خطاب ما في حين يحطّ آخر من قيمة هذا الخطاب نفسه فيرمي به في أسفل الدركات.

وعلى هذا الأساس يحمل كل خطاب الصفة ونقيضها، فهو جيّد ورديء في آن، ممّا يقتضي وضع كل الخطابات الأدبية في درجة واحدة من سلم القيم، وبالتالي تصنّف تصنيفاً أفقيّاً بدلاً من التصنيف الرأسّي التفاضلي.

يدلّ التكامل على تكافؤ الخطابات وتناظرها، فلكل خطاب أهميته لأنه يعدّ إضافة إلى التجربة الأدبية ممّا يقتضي تضامن هذه الخطابات على تعدّدها واختلافها لتشكل في النهاية خطاباً شاملاً، يستوعب كل التجارب بدلاً من الإقصاء.

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى الفرق البين بين تكامل الخطابات ها هنا وبين شمولية الخطاب عند دعاة نظريات الخطاب (من أمثال: "هاريس" و "إيست هوب، وغيرهما...") الذين اعتبروا كل ما ينتجه الناس خطاباً سواء أكان ذلك خطاباً أدبياً أو فلسفياً، أو دينياً، بما في ذلك خطابات أهل المهن والصناعات. فوضعوا بذلك أعمال "شكسبير" و "إدغارد ألان بو" و "دايسكوفسكي" في مرتبة واحدة مع خطابات أصحاب المهن وكل الفئات الاجتماعية، لأنهم ركّزوا على الاتصال أو التواصل وأغفلوا الجانب التشكيلي الذي يميّز الأدب عن غيره.

في حين أن التكامل الذي أقصده ها هنا هو تكامل الفنون أو تكامل يتم على صعيد العناصر التي تكوّن دائرة الفن عموماً والتي ينبغي أن توضع خطاباتها في أعلى درجات سلم القيم.

وتأتي وجهة هذا الطرح من العلاقات القوية التي تربط بين الفنون جميعها، ومن أمثلة ذلك التداخل بين فني الشعر والرسم إلى درجة جعلت قدماء اليونان يعرفون الشعر بأنه رسم ناطق والرسم بأنه شعر صامت، ولم يفلح الناقد الألماني

"ليسينغ" الذي حاول في القرن الثامن عشر طمس العلاقات بين في الرسم والشعر مبرزاً الفوارق الجوهرية بينهما، ولكن النقاد الذين جاءوا من بعده أعادوا الاعتبار إلى هذه العلاقة، فأكد "بودلير" (ق19) ذلك بقوله: ((ومن المظاهر المميّزة للوضع الروحي في قرننا أن الفنون جميعاً تنزع نحو تعزيز أحدهما الآخر في أقل تقدير)) {جيفري ميزر: اللوحة والرواية}، ويرى "بروست" أن الرسم ينافس الشعر في الكشف عن جواهر الأشياء.

ويعزز "جيفري ميزر" اعترافات الروائي "د.ه. لورنس" في بحثه "صناعة الصورة" أن الرسم يشكل مصدراً يستقي منه الروائيون أعمالهم الروائية، حيث تحولت لوحات كثيرة إلى أعمال روائية مثل لوحة "دائمة الخيل" لـ "مارك غيزيتلر" التي حولها "د.ه. لورنس" إلى رواية "نساء عاشقات"، ومثل لوحة "المسيح داخل القبر" لـ "هولباين" التي حولها "دايسكوفسكي" إلى رواية "الأبله".

وأما على صعيد العلاقات البيئية {أدب/أدب} فإنها تكون أكثر اتساعاً وتداخلاً، وهو ما كشف عنه البحث في قضية السرقات الأدبية قديماً وأكدده مفهوم التناص حديثاً، وفي هذا السياق نشير إلى أثر رواية 'دايسكوفسكي': "الإخوة كرامازوف" على رواية 'طوماس مان' "الدكتور فاوست" حيث اعتبر حوار "أدريان" مع إبليس صورة لحوار "إيفان" مع الشيطان في "الإخوة كرامازوف"، وهذا غيض من فيض.

وفي ضوء ذلك يصبح البحث عن الفرادة في النص الأدبي أمراً غير ميسوراً إن لم يكن مستحيلاً، فالخطابات الأدبية إما أشباه أو نظائر، مما يجعل فكرة التكامل أمراً منطقياً تفرضه علاقات الخطابات الأدبية ببعضها بصرف النظر عن اختلاف مذاهبها وأجناسها الأدبية.

وينسحب هذا المفهوم على الخطابات النقدية التي ينبغي أن تُراعى خصوصية كل خطاب لتشكّل خطاباً نقدياً شاملاً تتضافر فيه كل الخطابات على اختلافها. لا مراء في أن هذه الخطابات تنشأ بدافع حاجات البحث المتنوعة، حيث يصبح كل منهج ضرورة من الضرورات لحل معضلة لا يمكن لغيره أن يقوم بها. الحاجة التي دفعت "فرويد" إلى اصطناع المنهج النفسي بدلاً من المنهج السيري هي أنه يدرس شخصية غير سوية وبالتالي فهو يبحث عن عقدة نفسية هي سبب الإبداع عند المبدع وهذا أمر لا يتأتى لمطبقي المنهج السيري الذي يدرس شخصية سوية، ولا مراء أيضاً في أن النظريات المتجهة إلى المبدع لا يمكن أن تحلّ محلّ النظريات المتجهة للمتلقّي بالرغم من تماثلهما فكل منهما يرى أن النصّ يمثل شيئاً خارجاً عنه مبدعاً أو متلقياً، فكل يبحث عن شيء ضاع له في النهر، وبالتالي فتماثلهما لا يلغي المسافة بينهما، فشتان بين من يبحث عن صورة "امرؤ القيس" في شعره وبين من يبحث عن صورته في شعر "امرؤ القيس".

ومن هذا المنظور يمكن استثمار "النسقية التاريخية" و"النسقية النصية" {التعبير ل : جيزيل فالانسي} في الدراسة الأدبية لأن كل منهما يغطي جانباً لا يغطيه الآخر، فالنسقية التاريخية تمكّن من البحث عن ظاهرة في الزمان من الومضة إلى النص على غرار ما قام به "بيير دي بيازي" في النقد التكويني حيث قسم ميلاد النص إلى أربع مراحل سمّاها:

1. مرحلة ما قبل الكتابة

2. مرحلة الكتابة

3. مرحلة ما قبل الطباعة

4. مرحلة الطباعة

في حين أن النقد النصي يتوسع في دراسة حالة ساكنة، فيبحث في العناصر التي شكلت هذا النص أو ذاك، فتكاملهما يؤدي إلى دراسة مراحل تكون الإبداع ومرحلة تجلّي الإبداع.

قراءة في العدد:

يتشكل هذا العدد الرابع من مجموعة من الأبحاث تنوعت بين التنظير والتطبيق والترجمة:

1. يعالج المحور النظري قضية التعالقات النصية كما يتبدى في دراسة "موسى مريان" في السّرققات الشعرية وأنواعها، وكما يتبدى في دراسة "مُحَمَّد رضا بن طبوله" عن علاقات النصوص في الشعرية العربية.

2. ويضم محور الترجمة بحثاً لـ "سيمون فريس" (ترجمة: عبد المجيد حنون) توضح فيه الباحثة الحاجة إلى أسطرة الواقع.

ويضم المحور التطبيقي تسعة دراسات مختلفة اختلاف الإشكاليات المطروحة وطرق مقاربتها، وتتميز هذه الدراسات بثلاث ميزات رئيسة هي:

1. تنوع المناهج، حيث شملت المنهج الأسطوري الذي استعان به كل من "نظيرة الكنز" و "سامية عليوي" و "عبد الحليم منصور"، والمنهج الاجتماعي كما يبدو في دراسة "رضوان عجّاج إيزولي"، و "إسماعيل بن اصفية" و "صالح ولعة"، والمنهج التداولي الذي استعان به "علي خفيف" و "راضية بوبكري"، والمنهج السيري الذي اقتضته دراسة "عمار رجال".

2. تنوع الأجناس الأدبية مدار الدراسات وشملت الشعر، والمسرح، والرواية، والخطبة، والمذكرات، فضلاً عن الخطاب السياسي.

3. تنوع المصادر التي استقى منها الأدباء مادتهم لتشكيل إبداعاتهم، فلجأ بعضهم إلى الأسطورة، ووظف آخرون التاريخ، ولجأ البعض إلى الراهن الذي يشكل حياتهم اليومية واستقوا منه مادتهم.

ولكن خلف هذا التنوع (المناهج - الأجناس - مصادر التجربة) تقبع قضية جوهرية يتقاطع فيها الجميع، وهي اعتبار النص بنية دالة وليس مجرد تشكيل لفظي، وبتعبير الفلاسفة فإنهم يرون الأدب وسيلة وليس غاية في ذاته، يتبدى ذلك في سعي كل دراسة إلى إبراز الدور الفاعل الذي يضطلع به الأدب في حياة الأمم. ولكن كل دراسة وضعت إستراتيجية خاصة بها حفظت لها حدودها كما يتجلى في تتبع كل دراسة على حده.

- تكشف دراسة "نظيرة الكنز" عن تكاتف الخيال الأدبي مع النصوص المؤسسة في رسم صورة النبي "سليمان" (عليه السلام) مما يدل على تشارك الأدب والتاريخ والنصوص المقدسة.

- وترى "سامية عليوي" أن "نزار قباني" وظف رمز "شهرزاد" لتحديث عن وضع المرأة العربية التي ينبغي أن تثور على واقعها وتكسر قفص الحريم، لتحقيق إنسانيتها.

- ويصب بحث "عبد الحليم منصوري" في هذا المجرى حين يكشف عن توظيف بعض الرموز الأسطورية اليونانية للتعبير عن الواقع الجزائري.

- ويتواشج الحسني والمعنوي في الشعر الصوفي كما يراه "رضوان عجاج إيزولي" لتبليغ رسالة ما، وبالتالي ليس الشعر مجرد شطحات صوفية بلا دلالة.

- ويطرح "إسماعيل بن اصفية" قضية الالتزام في مسرح "الشرقاوي" الذي كشف عن وعي سياسي واجتماعي في مسرحية "ثأر الله".

- ويشاركه "صالح ولعة" من خلال "خطاب المدينة" حيث يعتبر الفنان مؤرخاً يحفظ الذاكرة التاريخية من عبث الأفلام المأجورة.
 - ويكشف "علي خفيف" أن تواشج الشعرية والتاريخ والسياسة كان سبباً في تأثير "طارق بن زياد" في مُتلقيهِ الذين سارعوا إلى الجهاد.
 - وترى "راضية بوبكري" أن الأبعاد الإنسانية تعدّ من استراتيجيات الخطاب السياسي إلى جانب قضايا أخرى.
 - ويعد "عمار رجال" مذكرات "أندريه جيد" وثيقة تاريخية مهمة تسهم في رسم صورة الجزائر من خلال بعض مدنها في مرحلة تاريخية معينة.
- يؤدي تكامل هذه الدراسات إلى تشكيل خطاب نقدي متعدد العناصر كصورة تناسقت ألوأها ، وهو ما لا يحققه "التفاضل" القائم على الإقصاء.
- ولهذا ينبغي أن تُصَرَف عناية الباحثين في هذا المجال إلى الكشف عن الأماكن المظلمة التي يثيرها كل منهج، وبالتالي البحث عمّا يضيفه كل واحد إلى التجربة النقدية. وهو ما يؤدي بالتالي إلى تجنب الأحكام التفاضلية التعسفية المخالفة لمنطق البحث، لأنها تعتمد معايير غير فاعلة مثل المعيار الزمني والانتصار لأحد الطرفين ، إمّا القديم وإما الحديث. كما يتجلى في الثنائيات حديث/قديم، أو جديد/تقليدي.
- ويمكن الاحتكام إلى معيار حضاري: تقدم/تخلف، وهو ما يؤدي إلى إفقار التجربة النقدية. بينما يؤدي التكامل الذي يقرّ مبدأ التكافؤ بين الخطابات غلى إغنائها.
- وقد كشف "مالكوم كاولي" عن أهمية التكامل حين شبه تعدد الممارسات النقدية وتنوعها ببيت متعدد النوافذ، وهو تشبيه يجسد واقع الإبداعات أيضاً.

رئيس التحرير:

د. مُحمَّد بلواهم

الفهرس

11-5.....	الافتتاحية.
13 -12.....	الفهرس.

أولاً: الدراسات:

14	1. نظيرة الكنز
	سليمان ((عليه السلام)) في الأدب العربي بين النصوص المؤسسة والمتخيلة
39	2. سامية عليوي
	من الأنوثة والجمال إلى الثورة والخلاص، شهرزاد في شعر نزار قبّاني - دراسة نقدية أسطورية
66	3. عبد الحليم منصوري
	ملاحم أساطير إغريقية في روايات جزائرية - دراسة نقدية أسطورية
83	4. رضوان محمد سعيد عجّاج إيزولي
	تجليات الحب الإلهي وفلسفته في الشعر الصوفي " أبو مدين التلمساني أمّوذجاً "
	دراسة تتناول العلاقة بين الحب الصوفي والحب العذري
112	5. إسماعيل بن اصفية
	وقائع الماضي وجراحات الحاضر في مسرحية " ثأر الله " لعبد الرحمن الشرقاوي
131	6. صالح ولعة
	خطاب المدينة ؛ قراءة في "عالم بلا خرائط " جبرا إبراهيم جبرا وعبد الرحمن منيف
149	7. علي خفيف
	خطبة طارق بن زياد بين الشّعرية والسياسة والتاريخ - دراسة تداولية
167	8. راضية بوبكري
	الخطاب السياسي ، أصوله النظرية والمنهجية ، وأبعاده الإنسانية

9. عمار رَجّال 190

الجزائر في كتابات " أندريه جيد "

10. موسى مريان 205

السِّرقات الشعرية وأنواعها في نظر ابن رشيق القيرواني

11. مُحمَّد رضا بن طبولة 222

علاقات النصوص في الشعرية العربية القديمة في ضوء مفهوم التناس

ثانياً: ترجمات:

12. سيمون فريس Simone Fraisse 237

أسطورة جان دارك ، ترجمة الأستاذ الدكتور: عبد المجيد حنون.

الخطاب السياسي ، أصوله النظرية والمنهجية وأبعاده الإنسانية

بقلم الدكتورة: راضية بويكري

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة باجي مختار / عنابة

الخطاب السياسي، أصوله النظرية والمنهجية وأبعاده الإنسانية

1- الخطاب السياسي، مفهومه وخصائصه:

مفهوم الخطاب السياسي: (Discours Politique)

الخطاب السياسي خطاب إقناعي، حجاجي، يتخذ من اللغة، والسياسة فضاء له، تتجلى من خلالهما خصائصه الإقناعية، والحجاجية، والإنسانية. فهو كما يعرفه فيليب بروتون (Philippe Breton)، ... نشاط إنساني يتخذ أوضاعا تواصلية متعددة، ووسائل متنوعة، ويهدف إلى إقناع شخص، أو مستمع، أو جمهور ما، بتبني موقف ما، أو المشاركة في رأي ما...⁽¹⁾ كما أشار شايم برلمان (C. Perelman) ولوسي تيتيكاه (L Tyteca)، إلى أن موضوع الخطاب السياسي، باعتباره خطابا إقناعيا هو درس تقنيات الخطاب، التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم، بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم...⁽²⁾

فقد عرف هذا المصطلح في تحديد مفهومه العديد من الاختلافات، البائدة بين الباحثين والدارسين، بين قائل إنه خطاب متميز عن الخطابات الأخرى، له خصائصه ومميزاته الأسلوبية التي تجعل منه فضاء واسعا للحجاج، وممارسة الفعل السياسي، من خلال التلاعب بالكلمات. وبين من يرى أنه خطاب، كباقي الخطابات، لا يتميز عنها في شيء، إلى درجة اعتبار كل خطاب هو بالضرورة سياسي...⁽³⁾

لكننا نعتقد أن أهم ما يميز هذا الخطاب هو ارتباطه بالسياسة، ارتباطا وثيقا، علما بأن الخطاب عنصر شفاف ومحديد، وهو بحد ذاته موضوع الرغبة، فهو ما نصارع من أجله وبه، وهو السلطة التي نريد الاستيلاء عليها...⁽⁴⁾ وكما هو معلوم فإن السياسة تتأسس على «...الواقعية، ... وعلى الحياة السياسية، وعلى الممارسات السياسية، وعلى التفكير السياسي

واللغة السياسية، وعلى التنظير السياسي...»⁽⁵⁾ وربما هذا الارتباط يجعل من الخطاب السياسي تحديدا يخفي أكثر مما يعلن ...

فليست كل مناطق الخطاب مفتوحة على مصاريحها بالدرجة نفسها، فمنها ما هو ممنوع علانية (كالرغبة/الجنس، السلطة/السياسة) والبعض الآخر مفتوح تقريبا، من دون إغفال أنّ الخطاب الحقيقي يتعلق بأمرين هما الرغبة/السلطة ..⁽⁶⁾.

كما أن الخطاب السياسي يختلف عن الخطابات الأخرى، ليس من حيث البناء اللغوي، أو الأسلوبي، بل من حيث طبيعة لغته التواصلية، التي تبحث عن متلق متمرّس حتى يفك شفرتها، ما يعني أن اللغة السياسية رغم أنها تواصلية تعتمد الوضوح والمباشرة للإفهام، والإقناع، والتأثير في المتلقي، إلا أنها تحتاج إلى تأمل لما يتسم به الخطاب السياسي من الدلالات الموحية واللجوء إلى الغموض باستعماله للاستعارات خاصة. مما يجعله في حاجة إلى التأمل، والفهم والتأويل، وهي خاصية براغماتية يلجأ إليها الخطاب السياسي حتى يكون أكثر تأثيرا في المتلقي.

لأن الغموض أو التضمين، ولجوء الخطاب السياسي، إلى الأسلوب غير المباشر، يساعد على تحقيق التواصل، من خلال التأثير في المتلقي، لأن الهدف منه هو الإقناع، الذي تساهم في تحقيقه هذه المعاني الضمنية غير المباشرة، ففي بعض الأحيان الأفكار والمعاني التي يُعمل المتلقي فكره للوصول إليها تبقى راسخة ويكون تأثيرها أشد وقعا، من المعاني الواضحة المباشرة. فالمتلقي في الخطاب السياسي لا يفهم دائما ما يرمي إليه المرسل، ويبقى ذلك وقفا على السياق الذي أُلقي فيه الخطاب. وربما هذه الخصائص هي ما يجعل الخطاب السياسي يتميز عن غيره من الخطابات.

فلقد أشار المسدي في كتابه السياسة وسلطة اللغة، إلى خصوصية الخطاب السياسي الراهن، الذي اتخذ من الصورة الفنية، وسيلة من وسائل التواصل، فهو كما أشار

«... ما انفك يتزين بالصورة اللغوية الوافدة إليه من جماليات الأدب وإلهامات الإبداع، إنّه في وئام متدرّج مستديم مع الصورة الفنّية، التي هي في مجال النشر السياسي قائمة مقام الصورة الشعرية، في النشر الأدبي...»⁽⁷⁾ ولعل ما يميز الخطاب السياسي أيضاً، أنه يتعلق بالمضامين على حساب الألفاظ، وهذا لا يعني أنه يهمل الألفاظ ولا يعتني بها، لأن الإقناع والتأثير لا يتحقق إلا بالشكل والمضمون، وإنما هو خطاب مشحون بالمعاني والدلالات، والأفكار، والقضايا⁽⁸⁾ التي تشغل بال المتلقي. فهو خطاب... يتعلق بمضمونه بقضايا الشعوب، والإنسانية جمعاء،⁽⁹⁾ «... يتأسس على ترسانة قارة من المفاهيم والاستعمالات الثقافية ذات الانتماء المرجعي المحدد والواضح، ولذلك فهو متعدد ومتباين، لأنه يعكس تفسيرات و وجوه تأويل مختلفة تم إنتاجها في المجتمع تعبر عن مواقف متباينة...»⁽¹⁰⁾ مما يجعل الخطاب السياسي، خطاباً قصدياً في محاولته للتأثير في المتلقي من جهة، وقصده معالجة أهم قضايا الحياة اليومية، وعرضها في قالب لغوي مثير، يتحول بموجبه الخطاب السياسي إلى منبر لفهم الحياة السياسية، بالنسبة لمختلف الشعوب. كما يراد بالخطاب السياسي في الاستعمال الشائع، السلطة الحاكمة، أي أنه الخطاب الموجه عن قصد إلى متلق مخصص، قصد التأثير فيه وإقناعه بمضمون الخطاب، ويتضمن هذا المضمون أفكاراً سياسية، أو يكون موضوع هذا الخطاب سياسياً... والخطاب السياسي يهتم بالأفكار أو المضامين، ولهذا نجد المادة اللفظية قليلة في حين يتسع المعنى الدلالي لتلك الألفاظ، فالمرسل يعتني بالفكرة التي هي مقصده، أكثر من عنايته بالألفاظ. فالفكرة في الخطاب السياسي هي الأساس..⁽¹¹⁾ والفرق بين الخطاب السياسي، وغيره من الخطابات الأخرى، أنه ليس خطاباً عفويّاً أو تلقائياً، يرسله صاحبه على سجيته ليعبر به عن انفعالاته، بل هو خطاب مصنوع أُعِدَّ إعداداً متقناً، ليؤثر في الجمهور ويقنعه، ويمثل نوعاً آخر، من تسلط السلطة على الجماهير، فرجال السلطة يفرضونه على الجمهور، ولا يعترفون بما دونه من الخطابات الأخرى التي تُغيبها السلطة، وتخدمها، ولا تجوّز مرورها إلى الجماهير، التي

تعيش أسيرة خطابات السلطة، ومن ثم فالخطاب السياسي السلطوي يعد أكثر تعقيدا في مضمونه، وقد يكون خداعا ومراوغا، لسكوته عن أشياء وتجاهله لها، رغم صدقها، وينطق بأشياء، ويفسح لها مجال الانتشار، رغم هشاشتها وبُعدها عن الحقيقة وقد يسكت عن الحقيقة، لأن ذكرها ضد مصالحه وأهدافه...⁽¹²⁾ لأنه نص ذو سمات مركبة من الإيحاءات المعنوية، لها أبعادها، ولها مميزاتها تفرقه عن غيره من الخطب، داخل اللغة الواحدة...⁽¹³⁾

من خلال استعراضنا لبعض المفاهيم المتعلقة، بالخطاب السياسي، وإبراز ما يميزه عن باقي الخطابات، يمكن أن نؤكد على الطابع **الحجاجي** للخطاب السياسي، من حيث اعتماده، فن الإقناع والاستمالة لأنه يتعامل مع العقل والعاطفة معا.

لذلك يجوز لنا أن نشير إلى أن الخطاب السياسي متعدد الأصوات والمستويات، تتداخل فيه مجموعة من الذوات الفاعلة، قصد خلق جو من التأثير والتأثر، حيث لا يمكن لهذا التأثير، أن يتحقق، إلا إذا كانت هناك مواضعة، بين هذه الذوات المختلفة، في مقامات متنوعة، وإعلان عن وجودها داخل الخطاب، من خلال بعض التعابير والصيغ الأسلوبية، التي يلجأ إليها المرسل خاصة.

وهو ما يجعل منه خطابا، معقد البنية، عميق الأثر في المتلقين، بتبنيه إستراتيجية هادفة إلى درجة الإقناع. وهو يلجأ إلى هذه الإستراتيجية **قصد التأثير في المتلقي**، وعلى هذا الأساس يبنى المرسل سلوكه اللغوي وفقا لثلاث استراتيجيات متداخلة، فالإستراتيجية الهادفة في معناها: -**الأول** هي إعلان المتكلم... عن حصول درجة من درجات التأثير لديه، قد تكون صادقة أو لا تكون، في درجات قربها من حقيقة مشاعره. هذا الإعلان لا يكون تأويله ممكنا. - **ثانيا**- إلا في إطار منظومة اجتماعية مشتركة بين المتكلم والمخاطب تقن المرور عبر طقوس، وشعائر معينة. فنحن مطالبون في سلوكنا الاجتماعي، بإظهار أنماط معينة من التأثير في مقامات اجتماعية محددة. فإظهار الاحترام للمخاطب على سبيل المثال،

محكوم في ثقافات مختلفة بضوابط اجتماعية أقرب إلى الطقوس، منها إلى مجرد شفرة لغوية. ولا يكون هذا التحرك في معنييه المذكورين إلا لغرض تأثيري، وهو الفعل في الآخر وتوجيه معتقداته، وسلوكه، وهذا هو الوجه الثالث للتأثير...⁽¹⁴⁾

لكن هذه الأوجه الثلاثة شديدة التداخل، فكل منها يستلزم بالضرورة المعنى الآخر، والتأثير لا يكون إلا عن طريق إعلان علامات التأثير حسب طقوس اجتماعية معينة، وخلق انطباعات عن الذات، وعن مضمراتنا عن الآخر وعن علاقاته بالأناس... لذلك فالخطاب السياسي، ليس مجرد نص لغوي، بل هو خطاب مفتوح على الآخر، يتميز بالحوارية، والتفاعلية، لأنه عملي يتحقق من خلال «...الممارسة الفعلية، في الحياة السياسية والواقع السياسي، وهو أيضا خطاب متحقق في التجربة السياسية، إنه مرتبط بالمؤسسات السياسية، وهو انعكاس لسلوكيتها العقائدية والإيديولوجية والتاريخية والاجتماعية والنفسية والحقوقية والدينية...»⁽¹⁵⁾ ولقد أشار إلى هذه الخاصية ج. جيومو (J.Guilhaumou)، في مقال له بعنوان "الإيديولوجيا، الخطاب، الظروف الراهنة"، سنة 1973، «...فبالنسبة إليه تحليل الخطاب السياسي، يهتم بربط العلاقة بين المحتوى اللساني للرسالة مع القوى المرسلة (النخب المهيمنة والنخب المسيّرة)، لمجتمع محدد، حيث أن علم الاجتماع التاريخي بلور تحليلا لسانيا من أجل تحديد محتواه وشحونه، ويلاحظ أن تحليل الخطاب السياسي يمتاز بتموضعه في مفترق طرق بين المقاربة اللسانية وبقية العلوم الأخرى...»⁽¹⁶⁾ وهو ما أكدته طه عبد الرحمن عندما أشار إلى أن «...الخطاب لا يحصل تمام قيمته الفلسفية، إلا من خلال الممارسة السلوكية التي تصاحبه...»⁽¹⁷⁾

2- عوامل تطور الخطاب السياسي:

- الحرية، والديمقراطية:

في ظل التطور الاجتماعي، والثقافي، والسياسي، والانفتاح على العالم، عرف الخطاب السياسي عدة تغييرات ساهمت فيها، مجموعة من المعطيات، فالحرية السياسية قد سيطرت على كل شيء وحلت في كل نفس، المحل الأول، والخطاب السياسي ينمو تحت ظل الحرية ويستمد غذاءه وقوته منها إذ هو لا يترعرع إلا في جو حر طليق... وأبرز مثال على ذلك التطور الذي عرفه الخطاب السياسي الغربي، مقابل التحجر، والانغلاق الذي عرفه الخطاب السياسي في مرحلة من المراحل، ولا يزال إلى يومنا هذا يسير بخطى بطيئة، لغياب الديمقراطية الحقيقية، واعتماده على التضليل السياسي...

- الصراع على السلطة:

ففي ظل الحرية والتعددية، والديمقراطية السياسية، يُفتح المجال لمختلف الشرائح، والتوجهات، للصراع على السلطة، ويتجلى هذا الصراع في أبرز صوره في الحملات الانتخابية، ومحاولة كل حزب أن يكون مشروعه الانتخابي هو الأغلب، ومبادئه أكثر انتشارا وذيوعا، وأعضاؤه أكثر عددا، وأقوى صوتا...

- الاختلاف في الرأي، والفكر:

الاختلاف في وجهات النظر، والأفكار من شأنه أن يغذي الخطاب السياسي شكلا ومضمونا، ويفتح مجالا واسعا لتطوره، وتنوّعه... وذلك لن يتحقق إلا في ظل الديمقراطية، والحرية...

- الاستعمار:

الاستعمار الذي عرفته بعض الشعوب لفترة طويلة من الزمن... استدعى أن يكون من بين أهل البلاغة، والبيان فيها من يوقظ الحمية، ويثير العزائم، ويحيي الآمال، فوجدت خطب سياسية دافعة إلى الحياة الحرة...

- الخطاب السياسي أداة للدعاية:

كان الخطاب السياسي، ولازال لسان حال الشعوب، ومرآة عاكسة لهوية الحكم والسلطة، فلقد حرصت.. كل دولة على نشر الدعاية عن حكمها، وأنها تسير بالقسطاس المستقيم، وأنها لا تبغي غير الخير.. كل هذا جعل للخطاب السياسي الناشر للمحاسن، النافي للمعائب، مكانا في كل أمة..⁽¹⁸⁾

3- المميزات العامة للخطاب السياسي: (خصائص الخطاب السياسي):

أشرنا سابقا إلى تميز الخطاب السياسي عن بقية الخطابات من عدة زوايا، تجعله يملك سلطة أقوى على المتلقي، وتأثيرا أكبر من حيث امتلاكه للوسائل التي تجعله يتبوأ هذه المكانة. وهي التي تجعل منه خطابا حجاجيا إقناعيا، بشكله ومضمونه، وهي خصائص، ومميزات براغماتية، لذلك سنحاول الحديث عن بعض هذه الخصائص والمميزات فيما يأتي:

أ- يعتبر الخطاب السياسي من أهم الخطابات المعاصرة، وأكثرها تأثيرا في المتلقي، وانتشارا بين الأوساط الشعبية ومختلف شرائح المجتمع، لأنه يعالج أهم المشاكل والقضايا، على المستوى الداخلي والخارجي، التي يتطلع كل فرد إلى معالجتها، وإيجاد حلول لها، ومما أكسبه هذا النفوذ والسلطة، من حيث التأثير والانتشار في أوساط المجتمع، ما يتمتع به من سلطة مستمدة من الجهة الصادر عنها...

ب- يهتم الخطاب السياسي بأهم القضايا التي تساهم في صنع القرارات الفاعلة في المجتمع، وهو ما يبرر ارتباطه الكلي، بالظروف والأحداث، السائدة على مستوى الواقع...

ج- الخطاب السياسي هو خطاب مضموني عن جدارة وتميز، نظرا لارتباطه بالسياسة التي تشحنه بأهم المضامين والأفكار والقضايا المصرية، والمعاني، والدلالات التي تجعل منه أكثر تأثيرا وإقناعا للمتلقي، بعدها تصاغ هذه الأفكار في قوالب لغوية، وصيغ أسلوبية، مما يزيد في قوة الأفكار وتأثيرها، لذلك نشير إلى أن الخطاب السياسي حجاجي شكلا ومضمونا.

د- يهدف الخطاب السياسي إلى الإقناع عن قصد ونية، وهو موجه إلى هذا الغرض تحديدا، أي لتحقيق وجهة نظر صاحبه، وبسطها، ولأجل ذلك يعتمد الخطاب السياسي إلى الأسلوب المباشر والسهل البسيط، حتى يصل إلى أكبر قدر من الجمهور والإقناع والتأثير، لكن هذا لا يعني أن الخطاب السياسي، لا يوظف الصور الفنية، والجمالية، بل يلجأ إليها، لا لتحقيق الأغراض الجمالية وإنما لتحقيق التواصل، لذلك فالأساليب الفنية الجمالية التي يلجأ إليها الخطاب السياسي، هي صور تواكب التطورات الحاصلة على مستوى الواقع، حيث تبتعد هذه الصور عن الزخرف اللفظي، والتعقيدات الأسلوبية، ويهدف الإقناع أيضا يقوم الخطيب بتوظيف بعض الأساليب الخطابية الناجحة، والفعالة أثناء محاولته إقناع الجمهور بأفكاره الرئيسية، كالتكرار الذي يعتبر أحد الأدوات الرئيسية المهمة في عملية الإقناع، ومن شأن هذا التكرار أن يؤدي إلى إلقاء الضوء على المواضيع والأفكار الرئيسية وجعلها أكثر ثباتا في الذاكرة... (19)

هـ- لجوء الخطاب السياسي إلى إبراز الذات المتكلمة، بصورة موضوعية، يغلب عليها طابع الجماعية، حيث تحاول هذه الذات خلق أرضية مشتركة بينها وبين المتلقي، وهذا ما يجعل الخطاب السياسي يكثر من مصطلحات بعينها مثل: الشعب، والأمة، والوطن، والمصير المشترك...، ويوظف ضمير المتكلم الجمع، نحن...

و- الخطاب السياسي متغير، لاحتوائه على قيم غير ثابتة، لأنه كما أشرنا من قبل وليد الظروف والمتغيرات الاجتماعية والسياسية باتجاهاتها المتضاربة، مما يجعل قيمه متغيرة وغير

ثابتة، تحتمل عدة مفاهيم، تختلف من جماعة إلى أخرى، أو من فرد إلى آخر، فالديمقراطية والعدالة، والحدائق، قيم غير واضحة المفاهيم...

ز- الخطاب السياسي **قصدي**، يحمل نواياه بين سطوره، ومضامينه وأساليبه، التي لا يمكن أن نصفها بالعفوية أبداً. لأن الخطاب السياسي ينظر للأمور بعين السلطة، ويعالج القضايا وي طرحها من وجهة نظر السلطة، وعليه فمصادقية هذا الخطاب رهينة بما تفرضه السلطة، فالصواب أو الحقيقة، في هذا الخطاب تحددها السلطة...⁽²⁰⁾ لذلك يلجأ الخطاب السياسي إلى التراكيب البسيطة والقصيرة غير المعقدة، لأنه خطاب **إقناعي مقصدي**، وليس خطاباً **جمالياً بلاغياً**، والصور البلاغية مباشرة ومقتبسة من الواقع... كما أن الخطاب السياسي ليس خطاباً عفويًا، ولا يعبر عن ذات قائله، لأنه خطاب جماعي يمارسه صاحبه عن **تدريب وتوجيه وتلقين**، ومن ثم فهو لا يعبر عن ذاته الفطرية، ويخلو من المشاعر...⁽²¹⁾

ح- **توظيف** الخطاب السياسي **للغة الحياة اليومية**، لما تحمله من إيجابية، وأبعاد براغماتية للتفاعل مع ما يعيشه الفرد في المجتمع، بتوظيفه للغة اجتماعية معاصرة متداولة، في محاولة منه للاقترب أكثر من الأحداث التي تحكم هذا المجتمع داخليا وخارجيا... مما يجعله أكثر واقعية لاقتربه من الواقع اليومي. فالرسالة التي يحملها الخطاب لا يتم تبليغها إلا من خلال تخصيصها، واستخدام الكلمات التي لها وقع مؤثر، أي استخدام الخطيب لعدد من الأساليب بغرض تبليغ رسالته. من بين هذه الأساليب استخدامه للغة مستخدمة ومتعارف عليها، وللکلمات المجازية ذات الصور البلاغية، بحيث ترسم كلماته صورا في أذهان المستمع، وتؤثر في عملية التواصل وتساعد الخطيب على تبليغ رؤيته وأفكاره تبليغا رائعا...⁽²²⁾

ط- **يرتبط** الخطاب السياسي، **بالموقف** الذي صُنع من أجله، والظروف التي ساهمت في وجوده، وبمجرد ما إن تختفي هذه الظروف حتى يضمحل هذا الخطاب، ويفقد قوته....

ي- يحتمي الخطاب السياسي وراء رسميته التي يستمدّها من السلطة التي ينتمي إليها، مما يجعله يفرض مصداقية معينة لتحقيق هدفه المنشود... كما أن الخطاب السياسي أحادي النظرة، والممارسة، يستفرد بالرأي العام من خلال استبعاده للآخر، ولخطابه، بحكم ما يتمتع به من سلطة ...

ك- يحظى الخطاب السياسي بأكبر جمهور، حيث يتعدد المتلقي لهذا الخطاب ويختلف حسب المقامات والمواقف التي تصنعه، من متلقي مباشر، وغير مباشر، ومتلقي مقصود من الخطاب إلى مسترق السمع، إلى المتلقي الداخلي إذا تعلق الأمر بموضوع داخل المجتمع، ومتلق خارجي إذا تعلق الأمر بقضايا دولية،⁽²³⁾ وهذا لا يحدث في غيره من الخطابات الأخرى...⁽²⁴⁾ كما يُبنى الخطاب السياسي على مواقف الصراع، والأزمات والخلافات والظروف المحيطة بالمجتمع السياسي، فالموقف هو الذي يتسبب في صنع الخطاب، وليس الخطاب هو الذي يخلق الموقف ...⁽²⁵⁾

ص- يعتمد الخطاب السياسي إلى البساطة والاختصار،⁽²⁶⁾ في معالجة القضايا والأفكار المطروحة، باستخدامه لمصطلحات وألفاظ هي سهام موجهة، ونافذة «... في جعبة السياسي، لكن كلما كانت المصطلحات بسيطة مختصرة، يزيد تأثيرها وانتشارها ... فالشعارات مثلا تعدّ من أسهل العبارات حفظا وأعمقها أثرا في نفس المتلقي...»⁽²⁷⁾ لذلك فالخطاب السياسي من أقوى الخطابات، وأشدّها وقعا على المتلقي.

ل- التناص: تتعدد النصوص التي تبني الخطاب السياسي، بتعدد الوظائف التي يؤديها، وتعدد انفعالات وأزمة هذا الخطاب، وهذه الإمكانية التي يتمتع بها الخطاب السياسي، استمدّها من خاصية مهمة، هي التناص، الذي استطاع الخطاب من خلاله، أن يجمع بين مشاعر الخوف والتفاؤل، وبين الماضي والمضارع والأمر، وبين التحذير والنهي، والاستفهام...

ومما لا شك فيه أن هذا التناص، هو نتيجة لتعدد المقامات والسياقات التي تساهم في إنتاج الخطاب، وجعله يبدو على ما هو عليه شكلا، ومضمونا، لأن «...الخطابات السياسية تتداعى وتستلهم من بعضها وتردّ على بعضها البعض. فالتمثلات السياسية، التي تُصور من خلال اللغة الذات، والآخر هي التي يتمكن الناس من خلالها، التعارف والتمايز وتوجيه استراتيجياتهم، وسلوكياتهم وهي كلها نتاج تداخل الخطابات، فرجال السياسة يبنون ويهدمون صورا معينة من خلال المناظرات السياسية...»⁽²⁸⁾ لذلك يتجاوز الخطاب السياسي مستواه المباشر، ويصبح فضاء تلتقي فيه جملة من النصوص، والأنساق الفكرية، التي تجعله يستحضر، ويعتمد على مجموعة من الثنائيات، لعل أهمها: ثنائية الهدم والبناء، من خلال استحضار صور وهدم أخرى...

4- استراتيجيات التأثير في الخطاب السياسي:

يعتمد الخطاب السياسي، إلى جملة من الأساليب، والآليات الحجاجية، الإقناعية، قصد التأثير في المتلقي، وحثه على الإمعان في المضامين، والدلالات، الكامنة فيه قصد تأويلها، وفهمها، ما يجعلها ترسخ في ذهن المتلقي، الذي قد يتأثر بها، لتتحول عنده إلى أفعال يمارسها، ويعمل بها. وسنحاول فيما يأتي عرض أهم استراتيجيات التأثير في الخطاب السياسي:

-الأفعال الكلامية: (Actes de parole)

الأفعال السياسية هي أفعال كلامية في الغالب، لأن الكلام لا يحمل فقط رسالة دلالية، وإنما هو يشي بالموقع الذي يتخذه صائغ الكلام من تلك الدلالة التي يتضمنها الخطاب... إنّ اللغة تدل بما هي كلام وتدل بما هي علامات، وقرائن وإشارات، لا يجلوها إلا الميثاق التواصل بين متكلم ومتلق ... فآلية البدائل... تتيح تأويل اللغة بجرية، ولكنها لا تتيح أي حرية لتغيير الحدث، فمأزق الفعل السياسي يقابله انعراج واسع في زاوية

الفعل الكلامي، لذلك يلجأ الفكر إلى سلطة اللغة عسى أن تعيد التوازن بين الفعلين...⁽²⁹⁾ فعندما نكون حيال القول السياسي، ولا سيما في لحظة مباشرته الأولى أو في لحظة إنشائه والإصداح به، نبحث عن المعنى فنكتشف أنه لا يوجد في البناء التّحوي للكلام، ولا في دلالة الألفاظ المعجمية، ولا يوجد في السياق التركيبي بين الجمل السابقة والجمل اللاحقة، ولا هو موجود في المقام التداولي باعتبار الروابط العالقة بين المتكلم والسامعين، ولكنه يوجد خارج الحدث اللغوي، التواصلي تماما... إنّه يوجد مبعوثا بين شاشة الأحداث الجارية وخزانة الوقائع الماضية، فهو مزروع على أرض الذاكرة السياسية المتحركة إنّه يثوي بين حقيقة تاريخية مضت وحقيقة تريد لأن تنشأ...⁽³⁰⁾

فالخطابات السياسية «...جزء من الممارسة الإيديولوجية للسلطة من قبل الدولة، وأن كلا من التفاعلات الاجتماعية الحافة بعملية إنتاج الخطاب السياسي الإعلامي وتلك التي تحف بعملية قراءته هي بالأساس تفاعلات اجتماعية قبل أن تكون معرفية أو كلامية تأويلية...»⁽³¹⁾ لذلك يرتبط الخطاب السياسي بالإعلام، وقد يتحول إلى إعلامي، والإعلامي يتحول إلى سياسي وهو الذي يُعرّف بباقي الخطابات، وخاصة السياسي الذي يحتاج دائما إلى ترسانة إعلامية، لا سيما أن أهم الآليات الصراعية القوية، في العالم اليوم هي «...آليات الصراع المعلوماتي، فقد باتت المعلومات قوة صراعية هائلة، نتيجة تطور الوسائل والوسائط المعلوماتية، كشبكات الانترنت وتكنولوجيا الاتصالات، وتقنيات وسائل الإعلام، والتلفزة، وهذه الوسائل، والوسائط واحدة من مجموع الأسلحة السياسية الصراعية القوية، التي تديرها العقول والمعارف والمعتقدات والإيديولوجيات...»⁽³²⁾ وهو ما يجعل من الخطاب السياسي حقلاً خصباً للدراسة التداولية، لارتباطه بها من عدة جوانب. فهو خطاب تداولي حجاجي، إقناعي، نفعي، يسعى إلى التأثير في المتلقي، من خلال جملة من الأفعال الكلامية التي تشكل هذا الخطاب، الذي قد يتحول إلى فعل كلامي واحد، انطلاقا

من سلاسل أفعال كلامية صغيرة داخل الخطاب. وهذه الأفعال تظهر في الخطاب من خلال بعض الصيغ الإنجازية، كالتوكيد، والوعد، والتقرير، والنفي، والاستفهام، والأمر، والإخبار...

-الإيجاء: (لعبة الكلمات)

أو لعبة السياسة التي أضحت ضرورة، لازمة من لوازم شطرنج الكلام، ومن لم يحسن قواعد هذا أفلتت منه قواعد تلك...⁽³³⁾ حيث يتحول الخطاب إلى رقعة شطرنج، تُمارس فيه لعبة من نوع خاص، هي لعبة الكلمات، والمعاني، وتفسيرها، وتأويلها بين المرسل والمتلقي، لذلك يلجأ الخطيب السياسي إلى شحن خطابه برموز ومدلولات، تختبئ وراءها بعض المعاني التي لا يريد البوح بها، إذ لا بد له من بعض الغموض حتى يُقنع المتلقي.

لكن هذا لا يعني أن يُغرق الخطاب السياسي في الغموض، والرمزية، حتى لا يبتعد عن الهدف الأساس الذي يبتغيه المرسل وهو التواصل، والإقناع، والتأثير. وإنما يلجأ السياسي إلى هذا الغموض، لأنه أقوى من حيث التأثير في المتلقي، لأن المعاني الخفية والأفكار غير المعلنة عنها تحتاج إلى إعمال للفكر، وهو ما يرسخ الفكرة والمعنى في الذهن.

فمن خلال اللغة، تمارس السياسة صناعة التغييب، ومن خلالها أيضا تمارس، سياسة الإعلان والتصريح، ففي الحالة الأولى، تقدم السياسة من خلال اللغة «...الأحداث بأغلفة من البلاغة والمجاز في ضرب من الإلهاء على أمل أن يتوارى الوعي بحقيقة الأسباب، وشيئا فشيئا تتحول العبارة إلى رمز، يأخذ موقعه ضمن خانات العرف الدبلوماسي...»⁽³⁴⁾ فتصبح بعض الكلمات استعارات، متداولة بين الأوساط السياسية، لأن «...اللغة على اختلاف مادتها هي من نسيج قائلها، فالمادة هذه هي التي تحدد نوع الخطاب كما هي التي تحدد متلقيها، فهو يتأثر بمقدار النصوص الواردة فيه بالمدلولات الرمزية الغامضة المبهمة، فكلما كان هذا الغموض والإبهام فيه، كان هذا الخطيب سياسيا محتكا مع حفاظه على بلاغة الخطاب...»⁽³⁵⁾ لأن قول الحقيقة في الخطاب، نسبي، لا يعول عليه، ولكن يعول

على البلاغة، والدقة في اختيار الكلمات المناسبة. ويحيلنا موضوع لعبة الكلمات،⁽³⁶⁾ الذي يميز الخطاب السياسي عن غيره من الخطابات إلى الحديث عن الاستعارة باعتبارها نتيجة من نتائج التلاعب بالكلام.

- الاستعارة:

الكلمات التي يستعملها الخطاب السياسي عادة هي تصورات استعارية مثل: المساواة، والحرية، والاستقلال، والسلطة... «... والاستعارات السياسية والاقتصادية، شأنها شأن كل الاستعارات الأخرى، قد تخفي بعض مظاهر الواقع. إلا أنّ للاستعارات في مجال السياسة والاقتصاد أهمية قصوى، فقد تقيّد حياتنا. فالاستعارة في النسق السياسي أو الاقتصادي قد تؤدي، بموجب ما تخفيه، إلى الخطّ من قيمة البشر...».⁽³⁷⁾ لأنها تعتمد إلى إخفاء الحقيقة، وإظهار ما يريد المتكلم إظهاره، مما يفتح المجال أمام المتلقي للتأويلات، والقراءات المتعددة، للمعاني التي يحملها الخطاب، فالاستعارة في الخطاب السياسي، تستعمل لأغراض تواصلية بحتة، لأنها تزيد في إثارة المتلقي، وتجعله يبحث عن المعاني التي تخفيها، مما يجعل عملية التأويل والقراءة للخطاب، أقوى وأعمق وعليه سيكون التأثير أقوى. لذلك فالاستعارات في الخطاب السياسي المعاصر، تتعلق بالاستعمالات غير العادية، التي يسعى من خلالها المتكلم إلى التواصل والتأثير في المتلقي، أي أنها لا تُستحضر في الخطاب السياسي لأغراض جمالية فقط...⁽³⁸⁾

فلقد ارتبطت الاستعارة عند العديد من الأشخاص، بالتوظيف اللغوي غير المؤلف، والخيال الشعري، وكل ما يتعلق بالزخرف البلاغي، كما يعتقد البعض أيضا أنها خاصية لغوية، تتعلق بالألفاظ، ولا تُعنى بالأفكار، والمعاني، وعليه نستطيع الاستغناء عنها، وهو ما لا يصح، في هذا الحضور المكثف للاستعارة في حياتنا اليومية، ولا تقتصر على اللغة فحسب، فهي جزء من تفكيرنا، وسلوكنا اليومي لأن لغة التواصل التي نستخدمها يوميا، هي في أكثر نواحيها استعارية النزعة...⁽³⁹⁾

يلجأ المتكلم، أو الخطيب إلى مراعاة مقتضى الحال، ليخاطب كل طبقة بما يناسبها، ولتحقيق ذلك يجب أن يكون عارفاً بأحوال من يخاطبهم، اجتماعياً وثقافياً، وسياسياً. لأن الكلام يُفسر ويُفهم حسب الموقف الذي يحدث فيه، لذلك يجب أن يجري أيضاً، حسب الموقف الذي يحدث فيه، أو الذي يثير الكلام، ويثير اللغة، فإذا أراد المتكلم أن يعبر عن مشكلات وقضايا اجتماعية، أو سياسية، واقتصادية، لا بد أن يعبر كما يلزم وكما يجب، فيوجه الخطاب للمعنى السياسي بسياق مفردات وألفاظ سياسية، وتقديم حلول، وقرارات لتجذب الأسماع، لأنه يسعى إلى التأثير وتوصيل أفكاره إلى أكبر عدد ممكن، فالمعاني ليست جامدة، بل هي متحركة.⁽⁴¹⁾ وهذه المعاني تحتاج إلى متلق يفهمها، حتى يتحقق الإقناع، لأن فهم المعنى هو جزء من عملية التأويل التي سيقوم بها المتلقي، ولكي يكون لهذه المعاني وهذه التأويلات وقع على المتلقي، لا بد من مراعاة مقتضى الحال، فقد... يعمد الخطيب إلى المنطق، وأقيسته اليقينية ويقتصر على ذلك إذا كان يخاطب أقواماً، قد غلب على حياتهم الفكر والعقل، لا يرضيهم إلا الحقائق عارية، وقد يعمد إلى الظنّيات، وأقوال من عرفوا بالحكمة، إذا كان من يخاطبهم ممن يقدسون أولئك الذين ينقل عنهم، وقد يضيف إلى الظنّيات صوراً كلامية، تثير الخيال، وتفعّل في النفس ما يفعله الشعر، ومن الخطب ما تجتمع فيها تلك العناصر الثلاثة، فتبلغ القمة من التأثير والروعة، والجودة...»⁽⁴²⁾ وهذا ما يحاول الخطاب السياسي بنزعتة التداولية النفعية، أن يحققه، حتى يبلغ أعلى درجات الإقناع والتأثير في المتلقي. فالمعارف المشتركة، سواء أكانت ثقافية، أم معرفية، تتعلق بالقيم، والمبادئ، والمسلمات، وغيرها تساهم في عملية التواصل، حيث يكون الفهم متبادلاً، والمعاني جلية أمام كل الأطراف المشاركة في العملية التواصلية، كما أن الفهم يكون ممكناً عندما يعي كل طرف الاختلافات في الخلفيات، والمرجعيات، ويعي أيضاً ضرورة احترام هذه الاختلافات، والفروقات، والرؤى، ووجهات النظر.⁽⁴³⁾

- السياق: (44)

يشكل السياق عنصرا مهما في عملية بناء الخطاب من جهة، وفي عملية قراءته، وإعادة بنائه من قبل المتلقي من جهة أخرى، لأن المتلقي في تأويله، لمعاني الخطاب يعتمد على سياق الخطاب، بأنواعه المختلفة. فالمتكلم يحرص كل الحرص على أن يكون خطابه، بكل ألفاظه، وأساليبه، ومعانيه، وأفكاره، ملائما للسياق الذي سيقال فيه هذا الخطاب، لذلك فإن للسياق «... دورا فعالا في تواصلية الخطاب وفي انسجامه بالأساس، وما كان ممكنا أن يكون للخطاب معنى لولا الإلمام بسياقه...» (45) والحديث عن السياق لا يقتصر على السياق اللغوي، بل هو حديث عن السياقات الأخرى التي لا يمكن للمعنى أن يتحدد بدونها، لأن «... اللغة تدل بألفاظها وتركيبها ولكن دلالاتها كثيرا ما تكون ضيقة محدودة، ما لم تتضافر على بنيتها القرائن السياقية الخارجة عن دلالات القواميس...» (46) والخطاب السياسي بصفة خاصة، يرتبط أكثر بالسياق نظرا لمنحاه التداولي، ونزعتة النفعية التي ترمي إلى التأثير في المتلقي وإقناعه، ومن ثم محاولة التغيير فيه، من خلال تغيير وجهة نظره حول القضايا المطروحة في الخطاب.

ونحن نعلم أن السياق من أهم المفاهيم التي تأسست عليها التداولية في دراسة اللغة، لأنها أي التداولية تهتم بدراسة استعمال اللغة في سياقات مختلفة، مما يجعل الكلام يحتمل عدة معاني حسب استعماله في السياق، فسياق الخطاب السياسي ليست النشوة الأدبية، ولا يكون الالتزام بشعرية القول هو الغاية، والوظيفة المنشودة، وهذه هي خصوصية هذا السياق، وإنما هذه الصورة الأدبية تدعم آلية إيصال الرسالة الدلالية... (47) وهو ما يساعد في عملية القراءة والتأويل، لمختلف المعاني التي يحتملها الخطاب. وهو ما يجعله أكثر ارتباطا «... بالسياق الذي تحدده ثقافة المجتمع، فبانعدامه يصبح التلقي من الأمور المستحيلة، والخطاب لا يتحدد بجملة أو بمجموعة من الجمل بغض النظر عن كونها مكتوبة أو شفوية (منطوقة) داخل حيز ثقافي...» (48).

- التأويل:

وهي خاصية تداولية بحتة، يخضع لها الخطاب السياسي، وتعتمد على المتلقي الذي يحاول أن يتجاوز التلقي المباشر إلى إعادة قراءة الخطاب في ضوء معطيات تداولية متعددة، ينطلق فيها من قصد المرسل والظروف التي أنتج فيها الخطاب. وكل السياقات التي تحتضن هذا الخطاب لحظة إنتاجه وإلقائه، لأن التأويل يعتمد على مدى فهم المتلقي لمعاني الخطاب ودلالاته، وهذا الفهم قد يختلف من متلق إلى آخر، وعليه ستكون عملية التأويل.

فقراءة الخطاب وتأويله... لا تتوقف عند حدود "التلقي المباشر"، والمعنى الظاهر، بل تتجاوز ذلك إلى إسهام المتلقي عن قصد، وبكل وعي، في إنتاج وجهة النظر التي يحملها، الخطاب، فهذه القراءة الواعية لا تقبل الوقوف عند حد العرض والتشخيص والتحليل... بل تتجاوز ذلك إلى التوغل بين خبايا الخطاب، قصد إعادة بنائه بطريقة تجعله أشد تماسكا، وأكثر تجسيدا وتعبيرا عن وجهات النظر، والمواقف والرؤى التي يحملها صراحة أو ضمنا. مما يجعل من هذه القراءة ورقة ذات حدين، باعتبارها تجسد البعد الذي يتحدث منه المتكلم أو منتج الخطاب، والبعد الذي يتحدث منه القارئ، أو المؤول لهذا الخطاب. ولكي تكون هذه القراءة ناجحة يتوجب عليها توظيف البعدين معا وإخراجهما في شكل واحد منسجم ومتماسك... (49)

- الصورة الشعرية:

الصورة الشعرية في السياسة بمثابة السهام النافذة التي تشق طريقها نحو المتلقي، بكل عزم وثبات، حيث يتحول الخطاب السياسي، من سياق الإخبار العادي، إلى سياق آخر تكون للعبة الكلمات فيه التأثير القوي على المتلقي، وهو سياق الإبداع، الذي يجعل غير الممكن ممكنا، حيث أصبحت الصورة الشعرية التي استعارتها السياسة من الأدب «... بمثابة القرص المضغوط الحامل للحقيقة كاملة من الرسائل في نسيج اللغة وفي جسور الأعراف

القائمة بين اللغة، ومستخدمي اللغة من مرسلين ومتقبلين، أما هنا فالجسور مثلثة الأبعاد فيها قرائن المجاز، وفيها قرائن الحدث السياسي بكل مؤثراته، وفيها أيضا الطاقة الاستقبالية الجديدة، التي هي "شفرة" إما أن نلم برموزها فنفتح مغاليقها، وإما أن نمسك إمساكا عن تناولها، ونستعصم استعصاما عن كل فضول في قراءة السياسة...»⁽⁵⁰⁾

ومن هنا تطل التداولية من جديد بأبعادها المختلفة، في الصورة الشعرية، التي لا يقل تأثيرها في المتلقي، عن اللغة المباشرة الواضحة، لكن هذا التأثير لن يتأتى إلا إذا توفرت كل الشروط التداولية الضرورية من شفرة، وسياق ملائم ومتلق، يفهم ما يقال ويحاول حسب فهمه فك مغاليق المعاني المشفرة وإعادة قراءة المعاني في سياقاتها المختلفة، وتأويلها من جديد، وبهذا كله يحصل التأثير والإقناع لأن المعاني العابرة سرعان ما تزول وتختفي عكس المعاني الضمنية التي لا يصرح بها الخطاب.

«... وقد يتجه الخطيب إلى تصوير الحقائق في صورة تثير الخيال، وتعجب بذاتها ويضع الحقائق في أسلوب شعري ليجمع التصديق مع إثارة الخيال، ويلتقي الإذعان وإثارة الوجدان...»⁽⁵¹⁾

- 1- ينظر Philippe Breton; l'argumentation, Dan la communication Editions du Casbah. Alger, Javier 1998, p 03.
- 2- ينظر: Chain Perelman, et Lucie tytica ; traité de l'argumentation La nouvelle rhétorique, Editions de l'université de Bruxelles 1992, p 05
- 3- منير التريكي آليات تحليل الخطاب السياسي، م، س، ص 4.
- 4- ينظر: عيسى عودة برهومة، تمثالات اللغة في الخطاب السياسي، م، س، ص 127.
- 5- كلود يونان، طرق التضليل السياسي، ط1، مجد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 2009، ص 43.
- 6- ينظر: عيسى عودة برهومة، تمثالات اللغة في الخطاب السياسي، م، س، ص 127.
- 7- عبد السلام المسدي، السياسة وسلطة اللغة، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2007، ص 29.
- 8- ثنائية الشكل والمضمون في الخطاب: كل خطاب، لاسيما السياسي تظهر عبره ثنائية الشكل والمضمون، أو الظاهر والباطن، أو الدلالة والمغزى وهي ثنائية لا بدّ من وجودها داخل الخطاب لأنها جوهر الخطاب...
- 9- الخطاب السياسي والمجتمع: يحمل الخطاب السياسي، بين طياته أبعادا اجتماعية، فهو خطاب اجتماعي بامتياز، يرتبط بالمجتمع السياسي الذي يُوجّه إليه، ويحمل قيمه، ومبادئه، وكل تطلعاته... وهذه المفردات والمعاني والقيم التي يتضمنها الخطاب في أساسها ملك المجتمع الذي نشأ فيه الخطاب نتيجة التفاعل والاتصال بين أفراد...
- 10- بشير إبرير، سمات التداول في الخطاب السياسي، خطاب الرئيس بوتفليقة بمناسبة جائزة البابطين الثقافية نموذجاً، م، س، ص 38.
- 11- ينظر: محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي، دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، م، س، ص 46.
- 12- ينظر: م، ن، ص 54.

13- ينظر: مورييس أبو ناصر، إشارة اللغة ودلالة الكلام، ط1، منشورات مختارات، لبنان، 1990، ص 283.

14- ينظر: منير التريكي، آليات تحليل الخطاب السياسي، م، س، ص 9.

15- كلود يونان، طرق التضليل السياسي، م، س، ص 45.

16- Christian Baylon, Sociolinguistique, Société, Langue, Discours, Collection Nathan -Université, 1991; p 248,249.

*النص باللغة الفرنسية:

Quant à lui, s'occupe de mettre en relation le contenu linguistique d'un message avec les forces émettrices (classe dominante et classe dirigeante) d'une société donnée. Une sociologie historique structure une analyse linguistique pour lui donner sa portée. On le voit, l'analyse du discours politique possède le privilège de situer au point de contact entre la réflexion linguistique et les autres sciences humaines.

17- طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة والترجمة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1995، ص 44.

18- ينظر: الإمام، محمد أبو زهرة، الخطابة، أصولها، تاريخها، في أزهر عصورها عند العرب، م، س، 125، 126.

19- ينظر: شيل لين، قلها مثل أوباما، قوة التحدث ذات الهدف والرؤية، ط1، مكتبة جرير، السعودية، 2009، ص 31.

20- ينظر: محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي، م، س، ص 348.

21- ينظر: م، ن، ص 348.

22 - ينظر شيل لين، قلها مثل أوباما، قوة التحدث ذات الهدف والرؤية، م، س، ص 31، 30.

23- ينظر: محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي، م، س، ص 348.

24- م، ن، ص 349.

25- ينظر: م، ن، ص 347.

26- مثال: وخير دليل على قوة هذه النقطة وفعاليتها في الخطاب السياسي، الخطاب الذي قدّمه باراك أوباما في المؤتمر القومي للحزب الديمقراطي فقد أدهش خطابه- الذي لم يتجاوز عشرين دقيقة ولم تتعد

كلماته 2300 كلمة- الشعب الأمريكي وحظي بالمديح والثناء في جميع أنحاء العالم. لقد نجح في توصيل رؤيته إلى كل مواطن أمريكي. لقد كانت كلماته ورؤيته مصدر إلهام للملايين من مشاهديه. وعلى الفور لقبته وسائل الإعلام بـ"النجم الصاعد"، كما عجلت مهاراته الخطابية النشطة إلى حد كبير بالتقدم في مسار حياته المهنية وحولته بين عشية وضحاها إلى شخصية سياسية قومية بارزة.. ينظر شيل لين قلها مثل أوباما قوة التحدث ذات الهدف والرؤية، م، س، ص 1.

27- عيسى عودة برهومة، تمثالات اللغة في الخطاب السياسي، م، س، ص 134.

28- ينظر: منير التريكي، آليات تحليل الخطاب السياسي، م، س، ص 8.

29- ينظر: عبد السلام المسدي، السياسة وسلطة اللغة، م، س، ص 17.

30- ينظر: م، ن، ص 20.

31- منير التريكي، آليات تحليل الخطاب السياسي، م، س، ص 6.

32- كلود يونان، طرق التضليل السياسي، م، س، ص 10.

33- ينظر: عبد السلام المسدي، السياسة وسلطة اللغة، م، س، ص 53.

34- م، ن، ص 290.

35- عيسى عودة برهومة، تمثالات اللغة في الخطاب السياسي، م، س، ص 129.

36- الخطاب السياسي ولعبة الكلمات: يلجأ السياسيون، في خطاباتهم، إلى لعبة الكلمات... فقد

تظهر في الخطاب كلمات تدغدغ مشاعر المواطنين بكلمات رومانسية، لاستمالة عقولهم إلى مستقبل بعيد المدى في تحقيقها، كما أنّها لغة ملتبسة، غامضة، مبهمّة، ليست باللغة الصريحة، وهي حافلة بالمعاني المتعددة، والتفسيرات الهادفة إلى استثارة النفوس لخدمة السياسة... ينظر: م، ن، ص 135.

37- جورج لايكوف، ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيّا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، المغرب، ط 1، 1996، ص 220.

38- أمثلة عن بعض الاستعارات المستعملة في بعض الخطابات السياسية:

(في 2003/12/25، والعالم مشدود إلى الموقف الجريء الذي اتخذته العقيد "معمر القذافي"

ليطوي صفحة المواجهة الدولية ويفتح صفحة التعاون الكامل صرح سيف الإسلام نجل العقيد قائلاً: "ليبيا تعيش شهر العسل مع الولايات المتحدة". - سُئل الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، في ندوة صحفية يوم 2000/09/10، أثناء حضوره احتفال الأمم المتحدة بمطلع القرن فيما سمي بقمّة الألفية في

نيويورك، عن الوضع الاقتصادي في الجزائر، فرد: "إن ضرع البقرة الحلوب قد جف"، كما سئل في نفس الندوة عن موقفه من الإرهاب فقال: "الإرهاب مثل الكليسترول بعضه سيء وبعضه حميد"... ينظر: عبد السلام المسدي، السياسة وسلطة اللغة، م، س، ص 53، 54.

39- جورج لايكوف، ومارك جونسن، الاستعارات التي نخيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، م، س، ص 21.

40- قال الفارابي: إنّ الخطيب إذا أراد بلوغ غايته، وحسن سياسة نفسه في أموره فليتوَّخَّ طباع الناس وتلقّن أخلاقهم، وتباين أحوالهم... كما قال أفلاطون: لكل أمر حقيقة، ولكل زمان طريقة، ولكل إنسان خليفة. فعامل الناس على خلائقهم، والتمس من الأمور حقائقها واجر مع الزمان على طرائقه... ينظر: الإمام مُحمَّد أبو زهرة، الخطابة، أصولها، تاريخها، في أزهر عصورها، م، س، ص 9.

41- عيسى عودة برهومة، تمثلات اللغة في الخطاب السياسي، م، س، ص 131.

42- الإمام مُحمَّد أبو زهرة، الخطابة، أصولها، تاريخها، في أزهر عصورها، م، س، ص 16.

43- ينظر: جورج لايكوف ومارك جونسن، ترجمة عبد المجيد جحفة، م، س، ص 216.

44- السياق: نوعان سياق لغوي يرتبط ببنية النص الداخلية، وسياق غير لغوي ويُعنى بدراسة الخطاب في ضوء الظروف الخارجية والمؤثرات المباشرة عليه، وظروف إنتاجه، ويدخل في ذلك خصائص السياق الإدراكية، والاجتماعية، والثقافية، والمشاركون في الحدث، وارتباط الخطاب بالمكان، والزمان... ينظر: محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي، دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، م، س، ص 7.

45- مُحمَّد خطابي لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب ط 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 1991، ص 56.

46- عبد السلام المسدي، السياسة وسلطة اللغة، م، س، ص 129.

47 - مُحمَّد خطابي لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، م، س، ص 30.

48- ذهبية الحاج حمو، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، الجزائر، 2005، ص 139.

49- مُحمَّد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، م، س، ص 12.

50- عبد السلام المسدي، السياسة وسلطة اللغة، م، س، ص 52.

51- مُحمَّد أبو زهرة، الخطابة، أصولها تاريخها، في أزهر عصورها عند العرب، م، س، ص 16.

يصدر المخبر العدد الرابع من مجلته ، بعدما سلخ من عمره ثلاثة عشرة سنة أرسى فيها دعائمه وهياكله، وأنجز عدداً من مشاريع البحث، والنشاطات العلمية وكوّن عدداً معتبراً من طلبة الماجستير والدكتوراه في مجالات ذات صلة وثيقة بطبيعة المخبر، وبذلك أصبح يتوفر على طاقات وكفاءات تمكّنه من إصدار مجلة يريد بها علمية أكاديمية تعمل من أجل التراكم المعرفي في الأدب العام والمقارن وكلّ ما يتصل به.